عالم الملائكة

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾

[النساء : ١٣٦]

«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم » .

[رواه مسلم]

obeikandl.com

obeikandl.com

عالم الملائكة

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦] الملائكة مخلوقات نورانية خلقت للعبادة.. ولا يعصون الله ما أمرهم.

الإيمان بالملائكة من صميم الإيمان فى المعتقد الإسلامى؛ لقوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وإذا كان الإنسان قد خلق من طين، والجن من النار، فإن الملائكة خلقهم الله من النور. يقول النبى ﷺ:

«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

ومفرد الملائكة.. «مَلَك» (بفتح الميم واللام) والملائكة أجسام نورانية، وعندهم القدرة على التشكل بما يريدون من ألوان

الصور.. والملائكة على أنواع.. هناك من خلقوا للعبادة والتسبيح.

وهناك من خلق لينفذ أوامر الله فى العالم.

وهناك من يوحى إلى الأنبياء ورسله بأمر الله تعالى.

والإمام الغزالى يقول: لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكًا، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانًا. واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقًا، والذى يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً، فإن المعانى المختلفة تفتقر إلى أسماء مختلفة.

والملك عبارة عن خلق الله ـ تعالى ـ شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحق والوعد بالخير، والأمر بالمعروف. وقد خلقه الله وسخره لذلك.

والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء، والتخويف عند الهم بالخير وبالفقر، فالوسوسة فى مقابلة الإلهام، والشيطان فى مقابلة الملك، والتوفيق فى مقابلة الخذلان، وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]

فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة.

ويرى الدكتور أحمد الشرباصى أن الإمام محمد عبده قد تأثر فى هذا الرأى بالإمام الغزالى، وانتفع به فى إبداء رأى له فى تصور الملائكة، فيقول:

ويظهر أن هذا الرأى رأيه، ويدين به، ولكنه نسبه إلى بعض المفسرين فرارًا من المتاعب، لا يرى من الخير المجاهرة بالتعرض له.

وهذا الرأى يتلخص فى أن الملائكة أرواح تلهم خواطر الخير، كما أن الشياطين أرواح توسوس بخواطر الشر. وكل خواطر الخير وخواطر الشر محلها الروح.

فالملائكة إذن أرواح تتصل بأرواح الناس، فلا تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية؛ لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فإن اتصالها يكون عن طريق أجسامنا، ونحن لا نحس بشىء يتصل بأبداننا، لا عند الوسوسة بالشر، ولا عند الشعور بداعى الخير فى النفس.

فالملائكة إذن من عالم غير عالم الأجسام. والاستناد فى هذا الرأى يعود إلى حديث يقول: «إن للشيطان لَمَّة بابن آدم وللملك لمة». (واللمة بفتح اللام هى الإلمام بشىء والإصابة).

«فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر، وتكذيب بالحق. وأما لمة الملك فإيعاز بالخير، وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان». وهناك للحديث رواية أخرى تقول:

فى القلب لمتان: لمة من الملك، فليستعن بالخير وتصديق بالحكم، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ـ سبحانه ـ وليحمد الله، ولمة من العدو: إيعاز بالشر وتكذيب بالحق، ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم». ثم تلى قوله تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

«وذهب بعض المفسرين مذهبًا آخر فى فهم معنى الملائكة، وهو أن مجموع ما ورد عن الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال، من إنماء نبات وخلقة حيوان، وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو فى النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله فى البذرة، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال فى الحيوان والإنسان. فكل أمر كلى قائم بنظام مخصوص، تمت به الحكمة الإلهية فى إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهى سمى فى لسان الشرع ملكًا، ومن لم يبالِ فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوى الطبيعية، إذ كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة، أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة.

والأمر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن فى باطن الخلقة أمرًا هو مناطها وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحى تسميته ملكًا، وزعم أنه لا دليل على وجود

الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحى تسميته قوى طبيعية أو ناموسًا طبيعيا؛ لأن هذه الأسماء لم ترد فى الشرع، فالحقيقة واحدة!

والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات، وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودًا لا يدرك كنهه، والذى لا يؤمن بالغيب يقول: «لا أعرف الروح، ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها»

ويقول الأستاذ الإمام أيضًا:

«ولا يعلم إلا الله علام يختلف الناس، وكل يقر بوجود شىء غير ما يرى ويحس، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم، ولا يصل بعقله إلى إدراك كنهه».

وماذا على هذا الذى يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال: أصدق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدر قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحى، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟!

يشعر كل من فكر فى نفسه، ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو الشر بأن فى نفسه تنازعًا، كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل وآخر يقول: لا تفعل، حتى

ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذى أودع فى أنفسنا، ونسميه قوة وفكرًا وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله ـ تعالى ـ ملكًا، أو يسمى أسبابه ملائكة، أو ما يشاء من الأسماء، فإن التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافع والعلم الواسع؟!

ويعلق الدكتور أحمد الشرباصى على ذلك بقوله:

هذا هو رأى الأستاذ الإمام بنوع من التفصيل، وهو رأى لم يمر بهدوء أو سلام، وما كان لمثله أن يفلت من المعارضة الشديدة؛ لأنه يخالف ما التقى عليه جمهور السلف والعلماء، ولأن هذا الرأى يؤدى إلى الحكم بأن الملائكة قوى لا تعقل، ويظهر أن الأستاذ الإمام أحس بقوة المعارضة لرأيه، فلما عاد إلى الحديث عن الملائكة، حرص على وصفهم بالعقل كأن يقول مثلاً: الملائكة خلق روحانى، قائم بنفسه، من عالم الغيب، وهو خلق عاقل عالم، يفيض بالعلم بإذن الله على روح النبى بما هو موضوع الدين».

يقول الدكتور الشرباصى: والقرآن المجيد يرشدنا إلى أن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بوحى الله ورسله، لأن وحى الله ـ تعالى ـ يصل إلى النبى عن طريق ملك من الملائكة وهو جبريل. فإذا جحد الشخص وجود الملائكة فقد جحد إنزال

الكتب الإلهية، وجحد رسالة الرسل، ولذلك قدم القرآن الكريم ذكر الإيمان بالملائكة على ذكر الإيمان بالكتب الإلهية وبالرسل، فقال ـ تعالى ـ فى سورة البقرة: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]

ويقول فى سورة النساء عن الإيمان بالملائكة وعاقبة من يكفر بهم:

﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [النساء: ١٣٦]

ولقد وصف العرب الملائكة بالجمال، كما فى حديث جرير: «عليه مسحة ملك».. أى أثر من الجمال. وقد ضرب نسوة يوسف المثل بالملك فى الجمال والبهاء: ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف: ٣١] ولكن القرآن الكريم ـ إلى جوار هذا ـ يصف الملائكة بالقوة، فيقول فى شأن جبريل ـ عليه السلام ـ فى سورة النجم: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**﴾ [النجم: ٥، ٦] ويصف بعضهم بالشدة والغلظة، فيقول فى سورة التحريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]

ولكن هذا الوصف لا يمنع أن يعرض علينا الملائكة فى صورة تدل على الخضوع من ناحية واستمداد العلم من الله من ناحية

أخرى. يقول القرآن فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٢]

فالملائكة إذن مخلوقات نورانية تطيع أوامر الله؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ومنهم من كان يوحى إلى الأنبياء وحى الله كجبريل عليه السلام.

وهناك من خلق للعبادة.

وعندما عاد الرسول ﷺ من الإسراء قال لأصحابه: «أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط (صدر منها ما يشبه الأنين).. ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد».

والقرآن الكريم يوضح لنا مهمة هؤلاء الملائكة، فهم يطيعون أمر ربهم وهم رسله إلى أنبيائه.. وهم الذين يبشرونهم بما يوحى إليهم من الله، وهم الكرام البررة، كما أنهم يرفعون من الروح المعنوية لجنود الله فى جهادهم ضد المشركين، ولهم أدوارهم أيضًا يوم القيامة، بجانب عبادتهم وطاعتهم لله. فإذا كان الشيطان يوسوس للناس بالمعصية، فإن الملائكة عامل مضاد للشياطين، وهم يحثون على الخير.

والرسول ﷺ يحدثنا عن سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ ويخبرنا أن الملائكة شيعته إلى مقره الأخير.. يقول ﷺ: «لقد نزل من الملائكة فى جنازة سعد سبعون ألفًا ما وطئوا الأرض قبل ذلك».

ونحن نعرف من خلال قراءة السيرة العطرة للنبى الخاتم ﷺ كيف كان يتعبد قبل أن يأتى إليه الوحى فى غار حراء فى شهر رمضان، وكان يقضى هذا الشهر ولياليه ذوات العدد مفكراً فى ملكوت الله، وكأنه بذلك كان يعد نفسه لتلقى أعظم رسالة عرفتها الحياة.. وقد روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قولها:

«أول ما بدئ به الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو فى غار حراء، فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك،ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو فى غار حراء».

وكتاب السيرة وهم يتحدثون عن بدء الوحى، ونزول الملك جبريل ـ عليه السلام ـ بأعباء الرسالة لمحمد بن عبد الله ﷺ.. بعضهم يقول إن النبى رأى جبريل فى منامه، وبعضهم الآخر قال بل رآه فى يقظته.

تقرأ فى سيرة ابن هشام:

وجاء جبريل ـ عليه السلام ـ بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «فجاءنى وأنا نائم بنمط (وعاء) من ديباج كتاب، فقال:

اقرأ. فقلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغطنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ. فقلت: ماذا أقرأ؟ فغطنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى فقال: اقرأ. فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا الافتداء لى أن يعود لى بمثل ما صنع بى، فقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١ - ٥]

قال: فقرأتها، ثم انتهى فانصرف عنى، وهببت من نومى، فكأنما كتبت فى قلبى كتابًا، فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول:

- يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل. فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول:

- يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه، وما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف عنه وجهى فى آفاق السماء، فلا أنظر فى ناحية فيها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفًا أتقدم أمامى، وما أرجع ورائى، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى، فبلغوا أعلى مكان ورجعوا إليها وأنا فى مكانى ذلك، ثم انصرف عنى».

ومن الذين قالوا بأن الوحى فى أول نزوله كان فى المنام من كتابنا المعاصرين الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة

محمد». ولكن أغلب الرواة قالوا إن الرسول رأى جبريل فى يقظته، ولكن الشيخ محمد أبو زهرة يستعرض الرأيين، ويبدى وجهة نظره التى توفق بين مختلف الآراء، فيقول:

فالخبر الذى جاءت به الصحاح يفيد بأن الالتقاء بالأمين جبريل ـ عليه السلام ـ كانت فى صحو لا فى منام، والثانى يفيد أن الالتقاء كان فى المنام لا فى الصحو، وإن كانت رؤيا كأنها الصحو؛ لأنه بعد أن استفاق من نومه، تذكر كل ما قال لم ينس منه حرفًا واحدًا، فكان وحيًا بلا ريب. والاختلاف بين الخبرين فى الرواية لا فى أصل المعنى، فهما متلاقيان غير متخالفين.

ومع هذا التلاقى فى المعنى، فإن ثمة اختلافًا فى الواقعة، أكانت فى نوم أم كانت فى يقظة، وإن الكثيرين من العلماء قالوا ما دام المعنى واحدًا فى الروايتين وليستا متعارضتين، فإن التوفيق يكون بتكرار الواقعة، وقعت فى النوم، ووقعت فى اليقظة، فهى قد ابتدأت بين محمد ﷺ وروح القدس فى المنام، ثم كانت فى اليقظة. والمنام كان تمهيدًا للمجاهرة فى اليقظ. وقد وفق ذلك ابن كثير فى «البداية والنهاية» وبناه على أن قول أم المؤمنين فى رواية للبخارى أول ما بدئ به الوحى الرؤيا الصادقة، فقد قال: «تقول أم المؤمنين عائشة: أول ما بدئ به الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»، يقوى ما ذكره إسحاق بن يسار عن عبيد الله بن عمر الليثى أن النبى ﷺ قال: فجاءنى

جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ. . فقلت: ما أقرأ؟ فغطنى حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، وذكر نحو حديث عائشة سواء، فكان هذا كالتوطئة لما يأتى بعده من اليقظة، وقد جاء مصرحًا بهذا فى مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه رأى الملك فى المنام، ثم جاء الملك فى اليقظة. وقد جاء فى كتاب «دلائل النبوة» لأبى نعيم الأصبهانى أن ذلك شأن الأنبياء جميعًا، يأتيهم الوحى ابتداء فى المنام حتى إذا تهيؤوا للقاء الوحى عيانًا، جاء إليهم، فقد نقل عن علقمة بن قيس أنه قال:

«إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام، حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى».

ويخلص الشيخ محمد أبو زهرة إلى هذه النتيجة:

«وهكذا ننتهى إلى حقيقة ثابتة متفقة مع مجموع النقول، وتتلاقى مع العقول، وهى أن الالتقاء بالروح القدس ابتدأ فى المنام، ثم لما ألف محمد عليه الصلاة والسلام الرؤيا المنامية الصادقة، ويظهر أنها فى وضوحها وجلائها تشبه رؤية اليقظة؛ إذ كانت مثل فلق الصبح، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة، حتى إذا كان الأنس بروح القدس وامتلأ النفس بالروحانية كانت المشاهدة فى اليقظة؛ لأن ذلك مقام خطير عظيم لا تقوى عليه النفوس إلا بعد أن تصقل صقلاً روحيا».

ونمضى لنعرف من خلال سيرة المصطفى ﷺ شيئًا عن عالم الملائكة. لقد عاد الرسول بعد ملاقاة جبريل يرتجف خوفًا، وحدَّث زوجته خديجة بما رأى وسمع وهو يقول لها: «زملونى.. زملونى» أى لفونى بثياب؛ حتى يذهب عنه الخوف. وعندما ذهب عنه الخوف، خافت خديجة على زوجها مما رأى وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.. وكان ابن عمها، وكان هذا الرجل يعرف العبرانية، وقد تنصر عندما قرأ التوراة.. وأخبر الرسول ورقة بما رأى وشاهد، فقال له ورقة:

ـ هذا هو الناموس الذى كان ينزل على موسى.

وانقطع الوحى فترة، حتى انتاب الرسول القلق، ثم هدأت نفسه، وتمنى أن يرى جبريل مرة أخرى.. لقد تحوَّلَ الخوف إلى أمل.. لم يعد يخشى أن يلقى جبريل.. وعلى اختلاف الروايات فى تلك المرة التى غاب فيها جبريل.. فإنه عندما التقى به الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شعر بالأمان لا الخوف.. فقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله:

«بينما أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجريت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلى، فقلت دثرونى، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ

﴿فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥] وبدأت الرسالة.. وكثر تلاقى الرسول عليه الصلاة والسلام بجبريل عليه السلام.

وقارئ السيرة العطرة يعرف أن جبريل يتشكل بصور مختلفة على غير الصورة التى كان عليها عندما رآه لأول مرة.

فقد كان يأتى على شكل شاب وسيم يشبه أحد الشباب العرب «دحية الكلبى» وكان يأتى مخاطبًا الرسول، وكانت مخاطبته له مثل صلصلة الجرس.. وكان الرسول فى هذه الحالة يتفصد عرقًا فى اليوم الشديد البرد، حتى إن راحلته لتبرك به فى الأرض إذا كان راكبًا. ولقد جاء الوحى مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها، كما أورد ذلك ابن القيم.

وأورد الرواة أنه جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام رجل حسن المنظر والرسول بين الصحابة، وأخذ هذا الرجل يسأل النبى، سأله: ما الإيمان؟ قال النبى ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

فقال له: ما الإسلام؟

قال النبى ﷺ: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان.

فقال له: ما الإحسان؟

فقال النبى ﷺ:

أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فقال له: متى الساعة؟

فقال النبى ﷺ:

ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

وعندما ذهب الرجل، طلب الرسول من أصحابه أن يردُّوه إليه، ولكنهم لم يجدوه، فقال لهم:

ـ هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم.

وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله:

ـ إن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضنى هذا العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلى! ولا يعلم كل شىء عن هذه المخلوقات النورانية إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو القائل:

﴿ ...جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ... ﴾ [فاطر: ١]

وعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الوحى.. واستيعاب ذلك شىء يفوق قدرة العقل والبال. فنحن نعرف أن الملائكة تنزل على المؤمنين فى ميادين الجهاد؛ لتثبت أقدامهم،ولكن لا نعرف كيف؛ لأن الملائكة لو حاربت مع المؤمنين لكان الملك الواحد

قادرًا على الفتك بجيوش بأسرها، ولكن قتالها إذن هو تثبيت قلوب المؤمنين على الجهاد، لا المشاركة فى الحرب.. والنصر دائمًا من عند الله.. ولا نملك إلا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. ونمسك عن الخوض فى الجدل فيما لا يفيد. وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ... ﴾ [المدثر: ٣١]

❀ ❀ ❀

obeikandl.com